دور البرجوازية العربية في عملية التصنيع

سيف الدين المحافظ

١ ـ خصائص البرجوازية العربية الاجتماعية والاقتصادية :

المعروف ان البرجوازية العربيـة حديثة العهد نسبيا ، فهي اما نشأت من استثمار ريع الاراضي للاقطاعيين ، او من الراسمال الاحتكاري التجاري ، او عن طريق السمسرات للشركات الاجنبية ، او في العمل في دول النفط العربية .

كما نرى ، فان هذه البرجوازية لم تمر بالمراحل الحضارية التـي مـرت فيها البرجوازيات الغربية ، من تقويض للاقطاع ، وتأسيس نظام ايديولوجي ، سياسي واجتماعي خاص بها . بل على العكس ، فهي قد نمت حول الاقطاع ، وبين التجار المحتكرين ، والمهربين ، والمضاربين . لهذا فهي لم تتقدم لا على الصعيد الايديولوجي ولا الثقافي، ولكنها امتصت كل ما هو رجعي ، وبدائي متخلف من تلك الاصناف السابقة ودمجتها مـع بعض المقولات الغربية السطحية . لقد نتج لدينا مـا نسميه بحق « **البرجوازية الشرقية** » .

اذن ، فان السمات الاساسية لهذه البرجوازية الشرقية هي: التجارة، السمسرة، التهريب، المضاربة ، الاحتكار والارتباط مع الخارج (اقتصاديا وسياسيا) .

ومن هذه السمـات نتبين ان المحرك الرئيـسـي للسوق الداخلي فـي الوطـن العربي (اقتصاديا مثلا) هو البرجوازية الشرقية . وهذا يعني ان كل خطوة او عمـل ضمـن هـذا السوق * يجب ان يقترن بالموافقة (الضمنية على الاقل) من هذه البرجوازية .

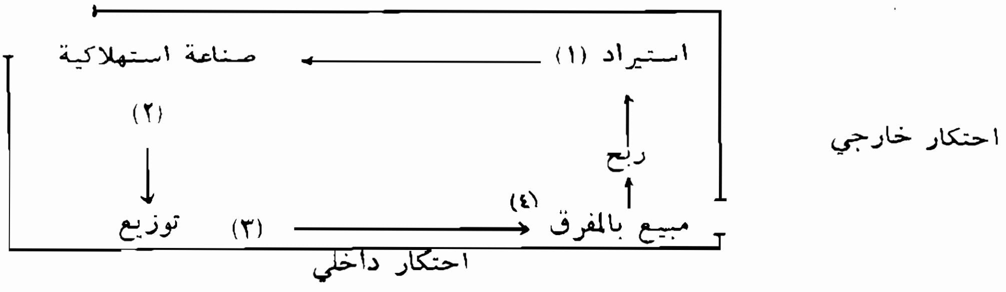
وطالما ان التجارة والمضاربة هما الهدف الرئيـسـي لهذه البرجوازية ؛ فان كل النشاطات التي تقوم بها يجب ان تكون ضمن هذا الهدف .

* لا نعني بالسوق مكان التبادل السلعي فقط ، ولكن نقصد بالسوق هنا الحياة الاجتماعية والسياسية ، والثقافية والاجتماعية ... الخ .

من هذا المنطلق حددت البرجوازية الشرقية طريقها في الاستثمار على الشكل التالي :

١ ـ **الاستثمار غير المنتج او المبدد** : وهو الشكل الاكثر انتشارا في الوطن العربي ، ويكون على شكل خزن الاموال ، ذهبا ، او جواهر ، او ارصدة اجنبية (١) ... او على شكل تشييد العمارات والمساكن الضخمة ، او شراء الاراضي الزراعية (٢) ... او عن طريق المضاربة في اقتناء السلع وزيادة المخزون منها لجني الارباح (في وقت قصير) الناشئة عن ارتفاع الاسعار التضخمي ، او عن طريق تهريب الاموال الى الخارج او تبديدها في الدول الاجنبية (٣) .

٢ ـ **الاستثمار الصناعي** : كما هو معروف ، فان سرعة دوران راس المال التجاري أسرع بعدة مرات من سرعة دوران راس المال الصناعي ، لذلك وجب على هذه البرجوازية الشرقية ان تفتش عن الصناعات التي تكون فيها سرعة دوران راس المال الصناعي قريبة من سرعة دوران راس المال التجاري ، أي يجب ان تكون الربحية بين ٢٠ ٪ و ٤٠ ٪ ، ولكن هذا النوع من الربح (او السرعة) لا تؤمنه الا الصناعات الاستهلاكية (الخفيفة والمعمرة) فقط . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان هذه الصناعات تتميز بمميزات تجارية واقتصادية وسياسية توافق تماما ما تريده هذه البرجوازية . بمعنى ان الاسواق العربية طالما هي اسواق استهلاكية فلن تقوم البرجوازية الشرقية باتمام دورة الاحتكار التجاري : صناعة في خدمة الاستهلاك ، وتوزيع تجاري محتكر ، وفرض للاسعار (وبالتالي الارباح) كما تريد .



(١) هذا الادخار ، ليس ادخارا حقيقيا ، فالواقع ان الذهب والحلي هما عبارة عن سلع تم شراؤها ، لذا فلم يكن ثمة امتناع عن الاستهلاك ، بل على العكس فلقد تمت المضاربة بوعي كامل ضد النقد . ويقدر المخزون من الجواهر والذهب في سورية بـ ١٥ ٪ من الدخل القومي .

(٢) ينجم عن هذا ارتفاع مصطنع في اثمان العمارات او المساكن او الاراضي التي ظل عرضها محدودا ؛ في الوقت الذي ازداد فيه الطلب عليها .

(٣) نجد امتناعا هنا عن الاستهلاك ، ولكن دون فائدة اقتصادية للبلاد العربية . ولقد قدر (حسب احصاء رسمي في العراق) عدد سمات الخروج التي اعطيت للمواطنين العراقيين عام ١٩٧٧ بحوالي ٦٠٠،٠٠٠ سمة مغادرة . والقانون العراقي يسمح باخراج ٤٠٠ دينار اثناء المغادرة وسطيا . واذا اعتبرنا ان المواطن العراقي قد اخرج ٤٠٠ دينار بالطريق الرسمي ومثلها تقريبا بطريق غير رسمي . يكون المجموع حوالي ٨٠٠ دينار ، أي ان المبلغ الذي خسره العراق من جراء السفر الى الخارج بحدود ٤٨٠ مليون دينار عراقي .

اذن قامت الصناعات في الوطن العربي ليس لانشاء قاعدة صناعية غايتها التنمية . وتقدم المجتمع ، وانهاء التبعية السياسية والاقتصادية ، بل لفلق دورة الاحتكار التجاري في السوق الداخلي اولا ، واحتكار التعامل مع السوق الخارجية لنفسها ثانيا .

ولهذا « فان ظاهرة البرجوازي (التجاري ـ الصناعي) تكاد تفطي مجمل القطاع الصناعي » . لذا فان البرجوازية الشرقية حليفة مزمنة للطبقات المستثمرة الاخرى .

مفهوم التصنيع لدى البرجوازية العربية

نشاة الصناعة العربية : بدأ النشاط الصناعي في الوطن العربي في النصف الاول من القرن العشرين ، والوطن العربي ما زال واقعا تحت الاستعمار ، بكل ابعاده العسكرية والاقتصادية . وقد يكون من المفيد تقسيم تاريخ الصناعة في الوطن العربي الى مرحلتين :

أ ـ **المرحلة الاولى** : وهي تمثل ما ظهر من بعض النشاطات الصناعية الفردية ، دون ان يكون للدولة اي نشاط صناعي فعلي . وقد اقتصر النشاط الصناعي خلال هذه الفترة على الصناعات التالية :

صناعة حرفية ومهنية : وهي تمثل نشاطا محدودا لانتاج السلع ذات الطابع الحرفي ، مثل منتجات الجلود ، والخشب ، والحفر على المعادن ، وانتاج المنتجات الفخارية ، والنسيج اليدوي من الصوف والقطن ... الخ ، او ذات الطابع المهني مثل اعمال الحدادة ، والتجارة ، والبناء ... الخ . وتتميز هذه الفترة برفض كامل لاية مكننة صناعية ، او اي تفير في اسلوب الانتاج (٤) .

صناعات استخراجية : وهي تمثل النشاط الاستعماري الذي استهدف امتصاص الثروات الطبيعية العربية من فوسفات ، وحديد، ورخام ، ومفنيزيوم ، ورصاص ، ونفط ... الخ. واتسم هذا النشاط بأمرين :

ـ الاستفلال العشوائي للمناجم والمحاجر والآبار، وذلك بقصد الاستنزاف السريع للثروات العربية بأقل مجهود ممكن أو اقل استثمارات ممكنة .

ـ الاعتماد على المجهود البشري للانسان العربي ، وقصر الاعمال الفنية على العامل الاوروبي .

وتتميز هذه المرحلة ببداية تكوين فئة تابعة اقتصاديا للشركات الاجنبية ، وبداية تكوين السمسرة التجارية العربية .

---

(٤) ـ « ثم تكلم السيد عبد الغني افندي الحسن احد تجار الطحين ؛ فأظهر الخطر الذي يهدد حرفته ، وذكر انه يوجد في دمشق الشام احد عشر معملا للطحين ، مع نحو مائتي مطحنة حجر وطنية . والان اذنت الحكومة الفرنسية لشركة افرنسية ان تؤسس معملا (فابريكة) . فمتى انتهى بناؤه ماذا يكون مصير اهل حرفة الطحين والبوابل والعمال وغيرهم ». من مذكرات عبد الرحمن الشهبندر، دار الارشاد ، ١٩٦٧ . ص ٢٩ .

صناعة استغلالية للمحاصيل الزراعية : وهي تتمثل في عدد من المصانع المحدودة التي قامت لاستغلال محاصيل زراعية في الدول العربية ، وتسهيل نقل انتاجها الى الدول الاوروبية مثل :

- صناعة قصب السكر في مصر .
- صناعة الشمندر السكري في العراق .
- صناعة حلج القطن في مصر .

وعلى الرغم من ان الادارة الاوروبية كانت تسيطر على جميع النواحي التقنية والتسويقية والإدارية لهذا النشاط ، الا ان هذه المصانع تمثل اول دخول لتكنولوجيا الصناعة الحديثة الى الوطن العربي . وقد تكونت في هذه المرحلة بعض الخبرات الوطنية ، والتي ستهتم فيما بعد بانشاء الصناعة الاستهلاكية في الوطن العربي .

صناعة استهلاكية : وقد بدأ ظهور هذه الصناعات في الوطن العربي بين سني الثلاثينيات والخمسينيات . وتمثلت في نقل بعض المصانع الاوروبية القديمة التي تقرر توقيفها عن الانتاج في اوروبا ، امام الاتجاه الاقتصادي نحو الحجوم الانتاجية الكبيرة للمصانع ، وما رآه بعض المستثمرين الاجانب او العرب من تشغيل هذه المعدات في الدول العربية ، مثل انتاج النشا والكبريت والاسمنت ... الخ .

صناعة عربية صرفة : وتتمثل في اقامة العديد من المصانع او الورش الصغيرة بادارة محلية ولكنها تمتاز بتبعية شديدة للخارج .

ب ـ **المرحلة الثانية :** وهي المرحلة التي بدات فيها الحكومات العربية تقوم بانشاء الصناعات بنفسها ؛ بهدف تنمية فعلية في الوطن العربي ، وقد اتجهت هذه الصناعات عموما نحو الصناعات البترولية ، او الى الصناعات الوسيطة ؛ وبشكل قليل جدا نحو الصناعات الثقيلة .

استراتيجية البرجوازية الصناعية : كما ورد سابقا ؛ ان غاية البرجوازية الشرقية في التصنيع هي اكمال الدورة الاحتكارية التجارية ، ولم تكن غايتها تنمية الوطن العربي ، وانهاء التبعية للخارج . وعادة ، تمر الدول بمرحلتين اثناء نموها الصناعي ، المرحلة الاولى : سياسة احلال الواردات ، والمرحلة الثانية : التصنيع لاجل التصدير .

١ ـ **مرحلة احلال الواردات :** يتمثل الهدف لهذه المرحلة في اقامة الصناعات الاستهلاكية التي تنتج بدائل للواردات الحالية ، او ما يمكن ان يتم استبداله من الخارج في حالة عدم انتاجه محليا (٥) . تلقفت البرجوازية الشرقية هذه المقولة الاقتصادية وحولتها حسب مفهومها الخاص الى سياسة استراتيجية لها في كل المراحل .

(٥) ـ مدخل استراتيجية التنمية الصناعية والتعاون الصناعي العربي ـ دراسة مقدمة الى مؤتمر التنمية الصناعية الرابع للدول العربية ـ بغداد ، ١٩٧٦ .

في هذه المرحلة ؛ المفروض ان تنتج بدائل الاستيراد لتخفيف التبعية للخارج ، ولكن عند دراسة الصناعات القائمة في الوطن العربي نرى ان التبعية قد زادت شدة وقوة . ويبين الجدول التالي رقم ــ ١ ــ اننا كنا نستورد سلعة واحدة اسمها « البراد » مثلا ، فأصبحنا الان نستورد خمس عشرة سلعة لنقوم بانتاج البراد !

جدول رقم ــ ١ ــ (٦)

نوع الصناعة	مواد اولية مستوردة	مواد اولية محلية
الالبان	حليب	حليب *
البيرة	مالت ، اند ، حشيش الدينار ، سود ، امونياك	ملح وسكر
صبغ وطبع الاقمشة	مواد كيماوية	—
الاحذية	فرعه ، نعل ، كرتون ، مسامير ، كبسول	نعل ، حور ، مسامير
اكياس النايلون	اصباغ ، حبيبات بلاستيكية	—
الطباعة	رصاص ، قصدير ، انتموان ، حبر ، ورق .	—
احذية من مطاط	اقمشة ، كتان ، فانيلا ، مطاط كريب ، خيطان	جلد ، اقمشة ، شريط
الدهان	لايبنون ، اكسيد الزنك ، سلفات الباريت ، القونة ، سوداكوستيل ، فرنيش ، سكاتيو استباج ، شمع بارافين ، الوان	زيت كتان ورنيش اسبيداج ، زيت شمع البرافين ، سلفات سيد ، وسبيرتو

(٦) ــ التنسيق الاقتصادي الصناعي للدول العربية ، الدكتور مبارك حجير ، المكتبة الانجلو مصرية ــ عام ١٩٦٧ ص ١١١ ــ ١١٥ .

* ــ لا يغطي عشر المطلوب من الانتاج .

الكبريت	خشب، كلورير دي بوتاس، كبريت، فوسفور، غـراء ، وشمـع	خشب وغراء
علب تنك	الواح تنك وقصدير	
البرادات	صفائح حديدية مطلية ، ضاغط مبخـر ، انابيب ، حبيبات بلاستيك ، مطـاط ، قضبان حديد ، نحاس ، «براغي»، شريط كهربائي ، فريون ، دهان ، صمام ضغط ، محس للحرارة ، مفتاح كهربائي ، حوامل. ضاغط .	شريط كهربائي
الغسـالات الكهربائية	صفائح حديدية ، محرك كهربائي ، حبيبات بلاستيك ، عنفـة التدويـر ، الموقت ، مطـاط ، قشـاط ، دهـان ، مفتـاح كهربائي .	شريط كهربائي ، دهان
الاثـاث	خشب ، حديد ، شريط شبك ، نوابض ، دهان ، ملمع ، « براغي » ، قماش ، جلد اصطناعي .	مسامير ، « براغي » خشب ، زوايا حديد .

ولتتمكن الصناعة الوطنية الناشئة من الوقوف في وجه الصناعات الخارجية ، طبقت الدول الصناعية (٧) (سابقا) قانون الحماية الجمركية . وهنا ايضا تلقفت البرجوازية الشرقية هذه المقولة الاقتصادية لتحولها حسب مفهومها الخاص الى قانون اساسي في الدول العربية . وبما ان هنالك نوعين من الحماية الجمركية (دائمة ومؤقتة) فان البرجوازية الشرقية قد اختارت النوع الأول (للحماية الدائمة) (٨) . ففي ظل الحماية الجمركية هذه ، لا يبقى للبرجوازية ما

(٧) ــ المانيا والولايات المتحدة في بدايات التصنيع فيهما .

(٨) ــ في لبنان فقط الحماية مؤمنة . والسبب ان البرجوازية اللبنانية التجارية ضخمة ، ولتمتع بنفوذ كبير في الدولة (نظرا للطابع الخاص للاقتصاد اللبناني) . لذا تفرض الحماية المؤمنة لفترة خمس سنوات فقط (هذا ان فرضت). ومن هنا كان تقدم الصناعة اللبنانية الكبير .

يحثها على تحسين انتاجها ، طالما ان هنالك استهلاكا قسريا للمنتجات . وهكذا تتحول السياسة الصناعية الى زيادة الانتاج (زيادة كمية) دون ان ترافقها زيادة في النوعية . عندها تصل الصناعات الى ما يسمى بالتيبس الصناعي (يقصد بهذا المصطلح ان الصناعة قد وصلت درجة الركود التقني ، اذ لا تغير في اسلوب ونوعية الانتاج ، منذ قيام المشروع ، مقارنة بالدول الاخرى) (٩) . ويرافق هذه الظاهرة عموما ارتفاع سعر الانتاج . والسبب ان كلفة الانتاج ترتفع ، نظرا لان الخط الانتاجي قديم تقنيا وعمليا ، والطاقة تكون عادة أقل من الطاقة المخطط لها ، والتكاليف المتغيرة عالية بسبب استيراد اغلب المواد الاولية من الخارج (١٠) .

ومن هنا نستطيع ان نسمع تحول الشعب واحجامه عن شراء الصناعات الوطنية . وهذا ما حدا بالدكتور عبد الرحمن حميده ان يقول : « لعل من ابرز مشاكل التصنيع في العالم الثالث ان المنتجات الوطنية لا تحظى بثقة المواطنين ، حتى ولو كانت جيدة ، وذلك لسبب مركب النقص الذي يعانون منه ، فيفضلون السلع الاجنبية من اي مصدر كان « وكل فرنجي برنجي » كما يقول المثل الدارج » . (١١)

اذن حولت البرجوازية الشرقية جميع المقولات الاقتصادية حسب مفهومها الخاص وحسب رغبتها في الانتاج ، وتركت جميع الصناعات والمشاريع التي لا تلائمها للدولة لتقوم ببنائها . ولكنها لم تكتف بذلك ، بل فرضت تقسيمها الصناعي الذي يلائمها ايضا . ولنطرح السؤالين التاليين :

ما هي المشاريع والصناعات التي قبلت البرجوازيه الشرقية التنازل عنها للدولة بطيبة خاطر ؟ ولماذا قبلت اجهزة التخطيط في الحكومات العربية بهذا الدور الذي رسمته لها البرجوازية الشرقية ؟ للاجابة على السؤال الاول لا بد لنا من التعمق بطبيعة الصناعات التي تركتها هذه الشريحة الاجتماعية . في الجدول رقم (٢) ، نجد العلاقة بين نوع الصناعة وربحيتها ومن الذي قام بانشائها ، البرجوازية ام الدولة .

(٩) – انظر مثلا صناعة الدخان في الوطن العربي ، بالنسبة الى صناعة الدخان في العالم . او صناعة الغسالات في سورية مثلا بالنسبة للغسالات الاجنبية .

(١٠) – يبلغ سعر البراد في سورية حوالي ٢٥٠٠ ل.س. في حين ان مماثله في الكويت (مستورد) ١٢٠ دينارا كويتيا ، او في لبنان ١٧٠٠ ل.ل.

(١١) العالم الثالث او جغرافية التخلف ، ص ٦٤ ، الطبعة العربية – دار الحقيقة – بيروت – الهامش ٢ .

جدول رقم ــ ٢ ـ

العلاقة بين نوع الصناعة والربحية (١٢)

نوع الصناعة	الربحية	المنفذ
الصناعات الكيميائية الثقيلة والمتوسطة	١١ ٪	الدولة
تكرير النفط	١٦ ٪	الدولة
صناعة السليلوز والورق	١٨ ٪	الدولة
العطورات والادوية	٢٤ ٪	القطاع الخاص والدولة *
الحديد والصلب	٨ ٪	الدولة
الدهان والاصباغ	٢١ ٪	القطاع الخاص

اذن، راس المال المحلي، وبسبب طبيعته التجارية، يتجه نحو التوظيفات في القطاعات الانتاجية الفوقية المربحة فقط. وبما ان هذا النوع من التوظيفات لا يغطي الا جزءا بسيطا من القطاعات الانتاجية الاساسية ، او التحتية ، لذا تجد الدولة نفسها مجبرة على تحويل هذه القطاعات الاساسية والتحتية (١٣) غير المربحة وغير السريعة المردود ، والتي تحتاج الى تمويل كثيف . فعلى الشعب (١٤) (والنفط حاليا) ، باعتباره الممول الاساسي لخزانة الدولة، ان يتحمل

(١٢) Bayerl / Strauss (248) Die Vorkakulation Inder Chemischen Industrie. VEB - Deutscher verlag fûr grundstoff Industrie - Leipzig

(١٣) ـ المشاريع التحتية Infrastructur هي مشاريع ليس لها مردود او ربحية ، ولكنها تساعد في عملية الانتاج بصورة اساسية ، وتقلل الكلفة الصناعية . ومن هذه المشاريع : الطاقة ، السدود ، الجسور ، الموانيء ، المطارات ، شبكة الهاتف ، ... الخ .

(١٤) ـ عمليا البرجوازية الشرقية لا تقدم الا نسبة ضئيلة ومضحكة من ربحها الى خزينة الدولة . ان ظاهرة وجود دفترين للمحاسبة ظاهرة منتشرة بين كل البرجوازيين العرب . واحد لتقديمه لمصلحة الضرائب (مزيف) ، والاخر الصحيح للبرجوازي لمراقبة سير اعماله المالية .

* اصل هذه الصناعة قطاع خاص ، ثم قامت بعض الدول العربية بتأميمها .

تكاليف هذا الوضع الشاذ ، عليه عبء التمويل ، ولقبضة من البرجوازيين الارباح الكبيرة (١٥) .

وللاجابة على السؤال الثاني ، لا بد ان ندرس العلاقات الاقتصادية ـ الاجتماعية ـ السياسية للمسيطرين على اجهزة التخطيط وبالتالي على سياسة الدول العربية الصناعية . اليس هؤلاء هم فعلا ناتج البرجوازية الشرقيةالاجتماعي والثقافي ؟ اليس هؤلاء ، عموما هم مشاركون للبرجوازية الشرقية في بعض النشاطات الاقتصادية؟ وكما طلبت منهم البرجوازية فلقد قبلوا بمقولة القطاع العام والقطاع الخاص ، وساروا بها الى ابعد من هذه الحدود ، الى حدود تصفية القطاع العام في بعض الدول العربية ، او الى ارباكه حتى لا يأخذ دوره المرسوم له في تنمية المجتمع العربي ، او الى الاتجاه نحو الصناعات الآنية (وليس المستقبلية) ، والتي هي عمليا مصانع استهلاكية ؛ ولكن بطاقات اكبر . (١٦) .

٢ ـ **مرحلة الصناعات التصديرية** : وتقوم هذه الاستراتيجية على بناء صناعات تنتج منتجات تفي باحتياجات الاسواق الخارجية ، اي تصدر لهذه الاسواق ، ويتم التسويق فيها ، دون ان ينفي ذلك امكانية تسويق جزء من الانتاج في السوق المحلي (١٧) .

سمات الصناعة البرجوازية :

ا ـ التقنية :

١ ـ ان الصناعة في الدول العربية قامت على نقل التقنية من الخارج، اما على هيئة معدات انتاجية او طرق تكنولوجية . ويتطلب تشغيلها الاعتماد لفترة على اساليب وسياسات مستوردة ، وعمالة فنية مستوردة ايضا .

٢ ـ ان هذه الصناعات لم تكن على درجة كبيرة من التطور بالنسبة لما كان معروفا وقت استيرادها ، بمعنى انها بدأت متخلفة خطوات عن مثيلتها في الدول الاوروبية .

---

(١٥) ـ عندما فتحت الدولة الباب للبرجوازية السورية لتساعد في مشروع مرفأ اللاذقية (في نهاية الخمسينيات) ، احجم رأس المال الفردي عن الاشتراك في المشروع ، مع ان الدولة ضمنت للمساهمين ربحا حده الادنى ٥ ٪ ، وهذا الاحجام ليس سببه النفور من الدولة ، بل الهروب من توظيف غير مربح بالقدر المطلوب . ان مشاريع الدولة ليست فزاعة بحد ذاتها ، بل هي كذلك لانها ليست بقرة حلوبا . (ياسين الحافظ ـ ازمة الثورة العربية ـ دار الطليعة ـ ١٩٦٥ .)

(١٦) ـ مصافي النفط ، طالما همها التكرير للحصول على البنزين للسيارات والمازوت للتدفئة ؛ فهي مصانع للاستهلاك . ولكن دورة البترول ليست فقط التكرير ؛ ولكن ايضا انتاج المشتقات البتروكيمياوية . فمن اصل ١٢٠ مركبا فوسفوريا يستعمل في الصناعة لم يلحظ المخططون العرب الا صناعة الاسمدة الفوسفاتية فقط ، اي لحظوا مركبا واحدا .

١٧ ـ في بحث لاحق ؛ سنحاول توضيح هذه المرحلة بشكل اوسع ، ومدى خطورتها على الوضع الصناعي العربي الحالي .

٣ ـ انها كانت تابعة في كثير من الحالات لمصادر خارجية ، كما انها كانت تدار غالبا من قبل اخصائيين اجانب يتلقون التوجيهات من هذه المصادر ، وبذلك فقد ظلت التقنية المستوردة مقيدة لفترة طويلة ، خصوصا مع عدم الاهتمام او عدم القدرة على تنشيط عمليات البحث والتطوير المحلي للاساليب التكنولوجية المستخدمة (١٨) .

٤ ـ ان حجم الطاقات الانتاجية للمصانع ، وتخلفها النسبي، جعل منتجات الصناعة العربية عاجزة عن الدخول في مجال المنافسة والاحتكاك مع المنتجات المثيلة في الدول الاوروبية (١٩) .

٥ ـ اغلب الخطوط الانتاجية تتألف من عمليات تكنولوجية بسيطة (بين ٣ و ٦ عمليات تكنولوجية) .

ب ـ الاقتصادية والاجتماعية : الصناعة التي قامت بها البرجوازية العربية تميزت كما يلي :

١ ـ صناعة خفيفة (استهلاكية) عموما ، وشديدة الارتباط بالمستهلك بسبب الفكر التجاري لهذه الطبقة . هذه الصناعة شديدة الارتباط بالخارج (بسبب الاستيراد لاغلبية المواد الاولية) . اما القيمة المضافة محليا الى المواد المستوردة فهي في الحقيقة طفيفة الى درجة كبيرة ، كما ان كلفة الانتاج عالية قياسا الى الربح الذي تجنيه من العملات الاجنبية .

٢ ـ راس المال الثابت لهذا النوع من الصناعة ليس كبيرا ، وهو في اغلب الاحيان يعادل تجهيز محل تجاري من الدرجة الاولى (ثمن البضاعة ، الديكور ، الخلو . . . الخ) .

٣ ـ ربح هذه الصناعة عال جدا ويتراوح بين (٢٠ و ٤٠ ٪) .

٤ ـ في الاقطار المتقدمة يكون التصنيع ظاهرة اجمالية ، متنوعة ، متآخذة ومتراكمة . فهي اجمالية لانها تدمج مجموع السكان في سوق واحد فعلا . ومتنوعة ، ومتآخذة لانها تتألف من منظومات مكائن ، منظومات نقل ، ومن منظومات حسابات مترابطة فيما بينها وبمجموع السوق. ومتراكمة لان منظومات المكائن هذه تضع مكائن اخرى تكملها وتزيدها احكاما .

اما التصنيع الذي قامت به برجوازيتنا فهو : ظاهرة غير اجمالية وغير كاملة ، وغير متآخذة ، وغير متراكمة .

فهي غير اجمالية لان هناك قسما من السكان مندمج في قطاع الاقتصاد الحديث بينما يظل الباقي بمعزل عنه بسبب ضعف القدرة الشرائية لديه . أي ان البرجوازية تنتج لنفسها ولحلفائها فقط (٢٠) . وغير كاملة لانه على خلاف الاقطار المتقدمة ، حيث يكون استهلاك المنتجات الصناعية مقتصرا في معظمه على السلع المصنوعة في القطر ذاته ، في حين نجد عندنا ان السكان

---

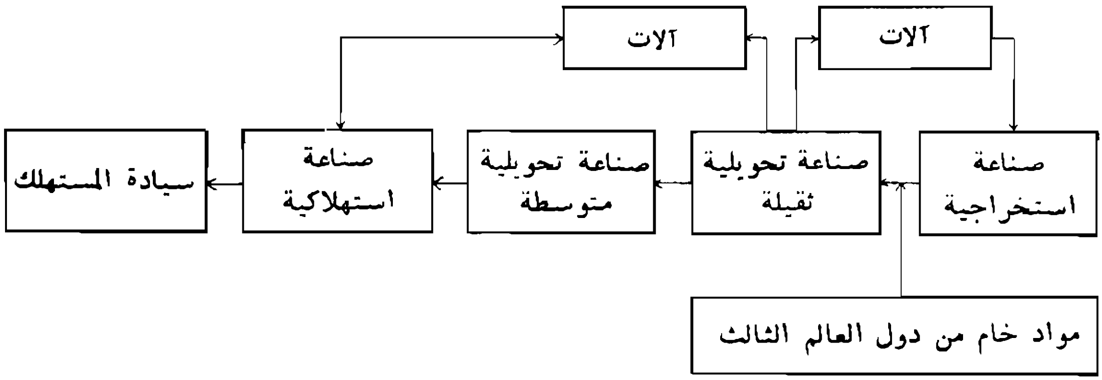
١٨ ـ انظر مراحل تطور الصناعة في هذا البحث الفقرة (٢) .

١٩ ـ تقييم تجربة الوطن العربي في نقل التكنولوجيا . مركز التنمية الصناعية للدولة العربية ، ١٩٧٦ .

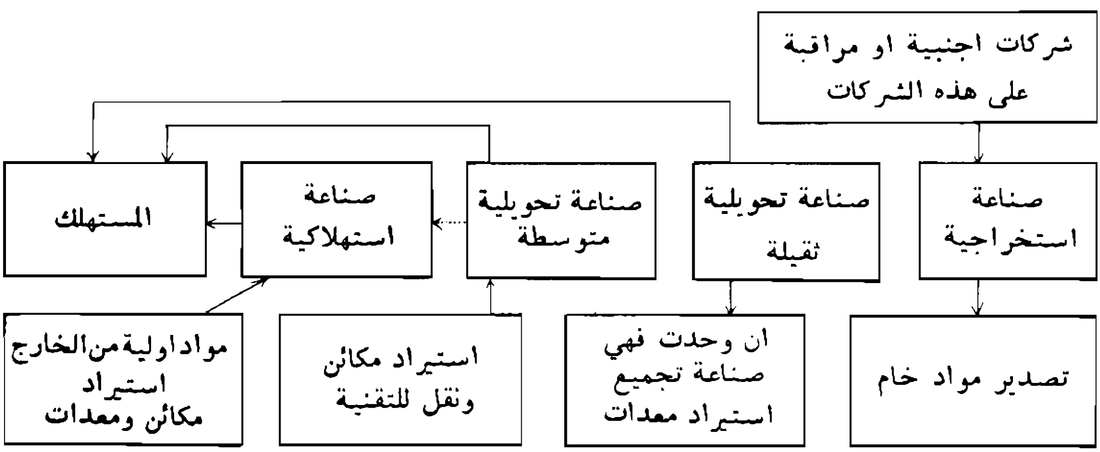
٢٠ ـ نادرا ما نرى الفلاح العربي يمتلك برادا ، وغسالة وتلفزيونا . . . الخ .

يستخدمون في الاساس اشياء لم ننتجها بأنفسنا . وغير متآخذة (Incohérent) ، لانها لا تتألف من منظومات مكائن او نقل او حسابات مترابطة فيما بينها ، وبمجموع السوق . ان استيراد المكائن لا يسمح بتصنيع مكائن اخرى ، ويمنع في الوقت نفسه تحقيق مركب صناعي متآخذ (٢١) . والشكل الاتي يوضح هذه العلاقةفي الدول المتقدمة والدول العربية .

الصناعة في الدول المتقدمة :



الصناعة في الدول العربية :



٢١ ــ ايف لاكوست ، العالم الثالث او جغرافية التخلف . دار الحقيقة ــ ١٩٧٢ ، ص ٦٤ .

نتائج الصناعة البرجوازية :

طالما ان الهدف من الصناعة هو احتكار المستهلك ولو قسرا (الحماية الجمركية الدائمة)، وطالما ان هذا النوع من الصناعة لا يتم الا بخطوة صناعية واحدة في مرحلة ما قبل المستهلك ، وطالما ان هذه الصناعة معتمدة على استيراد أغلب موادها من الخارج ، فلن يمكن لها ان تضرب جذورا في الوطن العربي ، بل هي قشرة فوقية ،وتزيد من تبعية الوطن العربي الى الخارج بشدة، وستظل النسبة المئوية للايدي العاملة الصناعية،بالنسبة لمجموع السكان العاملين راكدة في الوطن العربي ، بل هي تجنح الى التناقص ، لان النموالديمغرافي لدينا اكثر سرعة من تزايد مجموع العاملين في الصناعة .

ان البرجوازية الشرقية عاجزة سياسيا واقتصاديا عن تنمية الوطن العربي ، وبحكم الدور الذي تلعبه في الميدان السياسي ستكون العقبة الاساسية امام نمو صناعي حقيقي . وسيبقى وضعنا الاقتصادي كما وصفه ايف لاكوست : « في البلد اللاانامي يظهر كل من التصنيع ونفوذ الحضارة (الحديثة) من خلال زاوية الاستهلاك اكثر منه من خلال زاوية الانتاج. ان الرغبة في الاستهلاك واستيراد المنتجات الصناعية تتفوق على الرغبة فى انتاجها » (٢٢).

٢٢ ـ ايف لاكوست : العالم الثالث او جغرافية التخلف ، الطبعة العربية ، دار الحقيقة ـ بيروت .